

الديموقراطية الغربية ما لها وما عليها

د . محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

=====

فتنتنا ديموقراطية الغرب ونحن شباب نتطلع إلى الغرب بإعجاب وانبهار لما وصلوا إليه من تقدم وما يرمز إليه من حرية وحقوق الإنسان . وتدرجيا انكشف الغطاء وبانت الأمور على حقيقتها مع خبرة السنين . ديموقراطية الغرب يسميها البعض ديموقراطية بيل جيتس Gates . وبيل جيتس هو صاحب شركة ميكروسوفت الشهيرة ونابغة الكمبيوتر . والمقصود هنا أنك تستطيع أن تصدر أمرا للكمبيوتر بأكثر من طريقة إما بمفتاح واحد أو عدة مفاتيح أو بكتابة أمر ما باللوحة . أى أن هناك تعدد للمسارات والنتيجة واحدة . يأتي الحزب الديموقراطى أو الجمهورى فى الولايات المتحدة الأمريكية ونفرح كثيرا للتغيير ولكن الواقع النتيجة واحدة . التفكير واحد والنهج واحد وإن اختلفا فى التفاصيل أو طريقة الوصول . كلاهما مجند لخدمة إسرائيل . وديموقراطية أمريكا تتيح لشعبها الاختيار بين خادمين لإسرائيل كلاهما مخلص لها وكلاهما لا يرى غيرها فى المنطقة . أما طريقة الفوز فى الانتخابات الأمريكية فتعتمد على ما ينفق من أموال فى حملات الدعاية وما يقدمه المرشحون من وعود سرعان ما يتضح زيفها وما تمارس من ضغوط أساسها اللوى الصهيونى الذى يسيطر على الإعلام والفن والفكر والعلم والتعليم وكل شىء فى ذلك البلد الذى يساق أهله كالتطيع الأعمى وراء إسرائيل وما يحقق مصالح الصهيونية العالمية وما يقولونه له . يقولون له أن الإسلام هو الإرهاب يصدق . يقولون له أن العرب هم الهنود الحمر يصدق . عندما كنت فى زيارة لأمريكا فى الستينات كانت هناك حملة لجمع التبرعات لإسرائيل شعارها Pay a dollar and kill an Arab (ادفع دولار لتقتل عربيا) . هكذا فى بلد الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان . من يجرؤ على كتابة مقال يهاجم فيه إسرائيل أو اليهود أو يشكك فى المحرقة ؟ ليس فى أمريكا فقط بل فى أوروبا أيضا بينما تنشر رسوم مسيئة للرسول الأعظم ولا مشكلة لأنها حرية تعبير . من يجرؤ أن يدافع عن الفلسطينيين وينتقد مجازر إسرائيل ؟ لما سئل ترومان لماذا اعترف بإسرائيل بهذه السرعة مما يغضب العرب أجاب : هل للعرب قوة انتخابية Constituency فى أمريكا . هكذا الموضوع موضوع مصالح وانقياد أعمى للصهيونية ليضمن المرشح الفوز . لا حرية ولا ديموقراطية ولا حقوق إنسان . ثم جاء عصر بوش وما استحدثه من حرية التنصت والاعتقال لمواطنيه لمجرد الشك بما يخالف الدستور الأمريكى ذاته . كل من يمت للشرق الأوسط بصلة فهو متهم إلى أن تثبت براءته حتى وهو يحمل الجنسية الأمريكية . ونذكر مقتل المصرى القبطى فى لوس أنجيلوس بعد أحداث الحادى

عشر من سبتمبر . ونذكر ما يتعرض له أفراد الجاليات الإسلامية فى أمريكا وفرنسا وألمانيا وغيرها من دول الغرب التى تتشدد بالديموقراطية وحقوق الإنسان . وكلنا نذكر كيف كان السود يعاملون إلى عهد قريب فى الولايات المتحدة الأمريكية . وكيف كان يحرم عليهم ركوب أتوبيسات البيض أو الجلوس فى مطاعمهم أو الالتحاق بمدارسهم . ربما تغير ذلك على السطح ولكن ما فى القلب فى القلب . المجتمع الغربى قائم على الاستعلاء والعنصرية المقيتة لا يعرف المساواة والعدالة حتى بين أبناء وطنه . الفئة السائدة هى WASP وهو اختصار البروتستانت الأنجلو ساكسونيين البيض . وفى كل دولة أوروبية نجد فئة مميزة حتى فى إسرائيل نفسها التى تدعى الديمقراطية الغربية نهجا لها فإن اليهود الأشكناز القادمين من أوروبا هم أصحاب البلد . أما اليهود السفارديم القادمين من الشرق فهم فئة درجة ثانية أما الفلاشا فدرجة ثالثة . هذه كلها ديموقراطيات زائفة ظاهرها براق خادع بينما سيطرة وكالة المخابرات CIA والمباحث الفيدرالية FBI لا تختلف كثيرا عن دول نامية حديثة العهد بالديموقراطية . فى جميع الحالات هناك خطوط حمراء . فى الدول النامية عادة تكون الخطوط الحمراء الملوك والسلطين . أما هناك فالخطوط الحمراء هى نقد إسرائيل أو اليهود . أما الرئيس عندهم فلا مانع من خلعه إذا كذب على الكونجرس (نيكسون وفضيحة ووترجيت) أو فضحه والنشهير به إذا لعب بذيله مع إحدى متدربات البيت الأبيض (كلينتون) وهم يحبون الفضائح وخاصة فضائح رؤسائهم . ولا مانع عندهم من التلاعب فى الأصوات كما حدث فى انتخابات بوش - جور . وسيظل أمل البشرية هو البحث عن نظام ديموقراطى أمثل يحقق العدالة ويضمن بحق المساواة والحرية مع حفظ القانون والنظام Law and Order لمنع الفوضى والغوغائية والافتتال الداخلى ، يتيح حق الاجتهاد ويمنع احتكار السلطة وسيطرة فئة دون فئة على المجتمع ، بفتح الآفاق للتطوير الخلاق ويحرس المجتمع من الجهالة والانغلاق . تكون فيه مصلحة الأوطان هى العليا بلا خوف ولا انتهازية ولا تملق ولا شراء أصوات الجائعين أو تزويرها ولا تحكم من رأس المال فى مصير الفقراء ولا تدخل خارجى وتسلط من الصهيونية العالمية وعميلتها أمريكا . هذا أمل ستظل البشرية تهفو إليه .